الطبعة الثانية

ماهر شرف الدين

الرسام الفاشل

شعر



صورة الغلاف: كيسي مكماهون

ماهر شرف الدين

الرسَّام الفاشل

الطبعة الثانية 2012

الطبعة الأولى 1999



■ ولد ماهر شرف الدين في جبل العرب
بسوريا العام 1977. صدر له في الشعر:
«الرسام الفاشل» (1999)، «ملحق حمورابي
السري» (2001)، «سورة فاطمة» (2004)،
«العروس» (2007)، «تمثال امرأة تتجرع
السم» (2008). كما صدر له في السرد
كتاب «أبي البعثي» (2005).

الطبعة الثانية، 2012

لبنان، ص. ب: بيروت - الحمرا 113 - 5626
تلفون: 0096171573886
U.S.A: 13112 W. Warren Ave, suite 9
Dearborn MI 48126
Fon: 0013137217109

zeinab@alghawoon.com
www.alghawoon.com

تنويه

هذا الديوان هو مجموع ثلاثة كراريس نشرتُها بين عامَي 1999 و2001 حمل كل منها اسماً مختلفاً (دعوة إلى الرقص، الرسّام الفاشل، قصيدة السيّد)، اثنان من هذه الكراريس طُبعا بطريقة بدائية (فوتوكوبي) ولم يتجاوز عدد نسخ إحداها العشر.

إنها البدايات المنشورة التي لا مفرّ منها، البدايات التي لم تعد طبعاتها المحدودة موجودةً للتداول، والتي – كلما مرَّ الزمن عليها – شعرتُ بأنها باتت أشبه بخاتم زواج في يد ممثلة بورنو.

إنها بداياتي التي هي مجرّد تذكارٍ غريبٍ من شخصٍ غريبٍ كنتُه ذات يوم، ولا أُريد لقبره أن يكون بلا شاهدة تدلُّ إليه.

2012

1

هي ذي حياتي تنقضي كمنامِ
والموت يمشيها على أقدامي

(1996)

2

شربتُ حليبكِ الضاري بكُوبي
لأخفيَ كلّ شيء عن شحوبي

لأنبغ عبقريّاً، دون صدرٍ
أحاط بنفسه كلَّ الدروبِ

أيا أمّي أحسُّ بأنَّ ذنْبي
بلا خجلٍ يبالغ في هروبي

– غبيٌّ، كيف بحتَ بكلِّ شيءٍ؟
– أنا أسرفتُ في شرب الحليبِ

(1995)

3

ببطءٍ شديدٍ تجولُ
وتلعب تلك الخيولُ

مشاهدُ تزداد بطئاً
لينهار قلبٌ نبيلُ

لتنمو الإناث اللواتي
تناسبهنَّ الحقولُ

لتحيا على الدرب، سهواً،
مباهجُ طفلٍ يبولُ

سيغفو، فبعد الحكايا
يهزُّ سريره غولُ

***

بلادي، أتبقى الحياةُ
تُراكِمُ، أم قد نزولُ؟

أتبقى على الأرض خيلٌ
إلى أن يحين الرحيلُ؟

***

هنالك تشتدُّ حزناً،
ويؤذيك وجهٌ جميلُ

هنالك حيث جبالٌ
بها لا يجفُّ الغسيلُ

(1992)

4

وبدون أن أُلقيْ على قدّكِ نظرهْ
أنجزتُ قبركِ يا شقيقةُ، كان حفرهْ
هي في مخيّلة الصديقة مهدُ زهرهْ
هي في مخيّلة العشيقة قبرُ أخرى
هي في مخيّلة الشقيقة... أنتِ أدرى
وحفرتُ قبركِ دون أن أذرف عَبرهْ

(1999)

5

لعيونكَ السوداءِ يا أبتي
لكآبةٍ قد شقّقتْ شفتي

لملامحٍ زادتْ جهامتها
وتظنُّ أن الطفل لم يمتِ

(1999)

6

لكِ يا بيروت عندي
كلماتٌ، فاستردّي

من شريدٍ وغريبٍ
لم تُصفِّقْ له أيدِ

جاءَ لا قطعة خبزٍ،
نام لا رأفةَ وغدِ

***

بزغَ الفجرُ الحقودُ
المقتفي في الليل مهدي

وبردنا، دفئينا
حطباً للنار قدّي

دفّئينا لو بجمرٍ

للنراجيل مُعدِّ

أيها المأجور للقهرِ

خيالي متردِّ

ليس في كفَّيَّ سكينٌ

ولا قلبي بصلْدِ

ليس في ساقيَّ جهدٌ

إنما الشوق لقيدِ

ليس في الأحياء شحَّاذٌ

يُثير الآن كيدي

***

طفلةٌ تمشي ورائي
طفلة تمشي بجهدِ

وجهها يحظى بشَعْرٍ
قبل أن تحظى بنهدِ

ما سأعطيها: أشعري،
أم عذاباتي وحقدي؟

تركتني واستدارت
وتوارت بين حشدِ

آهِ يا بيروتُ يكفي
أُتركيني الآن وحدي

(متشرّداً تحت جسر الكولا في بيروت، 1999)

7

قد نلتقي بعد فوات الأوانْ
قد نلتقي، أيضاً، بنفسِ المكانْ

وراء حائط حوانا، فظنَّنا
الجميعُ أننا طفلتانْ

قد نلتقي أشياءَ تُحيي بنا
أيامَ حبٍّ رائعاً حين كانْ

وربّما لن نتلاقى، فقلْ
من أجل من فرَّقتنا يا زمانْ؟

(1999)

8

يا هندُ أقبلتِ النساءْ

بالورد، أقبلتِ النساءْ

يسرقنَ حلماً للذي

يحيا ويكتب بانكفاءْ

يا ليتني أحظى وداعاً

فوق صدرك بارتماءْ

(1999)

9

الرقصُ بالخناجرِ
والكحلُ في المحاجرِ

وساعدٌ، ومعصمٌ
يضجُّ بالأساورِ

وهزّةُ الصدور في
تأمُّلاتِ شاعرِ

وراحةٌ مشتاقةٌ
لضمِّ خصرٍ نادرِ

لتركِ أيِّ عادةٍ
كالشُّربِ، كالسجائرِ

(1999)

10

بلِّغْ سلامي للرفاقِ
واستخدمتْ تلك المآقي

ومضتْ إلى الأبد المُغالي
عندَ منعطفِ الزقاقِ

(1999)

11

رتَّبتْ بعض الأثاثِ

ومضتْ دون اكتراثِ

تمسحُ الدمعَ، وقالت:

«إنه داءٌ وراثي»

قلَّبتْ ديوانَ شعرٍ

واستقرَّتْ في المراثي

ومضتْ تحكي لأختي:

«لم أعشْ مثل الإناثِ»

(1999)

12

جمالكِ المليء بالعذابِ
وقدُّكِ النحيل في الثيابِ

ومسحة الأحزان في عيونٍ
دارتْ بها دوَّامةُ الشرابِ

دارتْ بها جدائلٌ وصدرٌ
منمنمٌ بقلبكِ المصابِ

(1999)

13

بحديثها قد تَفتقدْ
بعضَ السعادةِ أو تجدْ

لكنما الأحزان في
كلِّ الأماكن تتَّقدْ

في صدرها وعيونها،
في لون وجه مرتعدْ

بأصابعٍ إن صافحتْ
حالاً تعود فتتَّحدْ

في ثغرها يوم التقى
شَعراً إلى خلفٍ طُرِدْ

فيِ طفلةٍ ماتت وفيِ
أوجاع بطنٍ لم تلدْ

فيِ نظرةٍ مكسورةٍ
تهذي وبالماضي تَعِدْ

***

عند التقاء جفونها
ينهار قلبٌ يعتقدْ

يا صاحبي إن كنتَ
حسَّاساً، فأرجوكَ ابتعدْ

(1999)

14

عندما ماتتْ، تراءى داخلي
وجهُ رسَّامٍ صغيرٍ فاشلِ

(1999)

15

أخذوكِ منّي دون أن أدري
سرقوا زماناً كان من عمري

فلمَ رجعتِ الآن خائفةً
وأعدتِ من سرقاهم شِعري؟

(1999)

16

عادتْ من السفر الطويلِ
عادتْ بمركبة الخيولِ

عادتْ إلى الوطن النبيلِ
أميرةُ الوطن النبيلِ

عادتْ بثوبٍ أبيضٍ
مُرخىً على القدِّ النحيلِ

عادت بخدٍّ غارقٍ
يلتاعُ في الوجه الجميلِ

أدموعيَ انتظري لأشردَ
في محيّاها الطفولي

أدموعيَ انتظري لأبكيَ

فوق ساعدها الخجولِ

أدموعيَ انتظري مجيئي

لحظةً، لا لا تسيلي

(1999)

17

وفجأةً، ضجيجُ عالمي اختفى
أقلبها الكبير قد توقّفا؟!

(1999)

18

تخيَّلتكِ الوجهَ الحزين المواسيا
تخيَّلتُ نفسي فوق صدركِ باكيا

أبوح بأشواقي وحزني ولوعتي
وأبكي على تلك الذراع لياليا

أضمُّك مأخوذاً بوجهكِ شاعراً
بدقّات قلبٍ حين يخفق عاليا

(1999)

19

أدهشتْني فنونُها
سحرتْني عيونُها

فلماذا تورَّمتْ
بلقائي جفونُها؟

(1999)

20

خرجتْ بمفردها، فيا قلقي
من خاطفِ الأولاد في الطُّرُقِ

كم مرةٍ، في الليل، قلتُ لها:
يا هندُ بالغرباء لا تثقي

(1999)

21

لولا اختلافُ الأسرِ، والتكوينُ
ما ماتَ فينا طائرٌ مسجونُ

يا هندُ ردِّي للطفولة لونَها
فأنا لأجل طفولتيَّ حزينُ

هذا الخريف يعود لكنَّ الذي
قد فات وجهَينا هوَ التلوينُ

***

يا لهفتي، يا كلّ حزنيَ هل بكى
أحدٌ لمعنى كِلْمةٍ ستهونُ؟

هاتي يداً أو مقلةً، نبكِ معاً
سرقتْ خطانا في الدروب سنينُ

يكفي هباءً أن تظلَّ عيوننا
تدعو جمالاً خالصاً فتُهينُ

يا هندُ ردّيني لأمّي وارحلي
لا تجرحيني إنني مسكينُ

اليومَ أمشي في طريقي صامتاً،
بفمي الدماءُ، وقلبيَ المطعونُ

(1999)

22

أقفلَ الملهى الذي كان أجملْ
وانتهى الليل الذي كان أطولْ

ذات يومٍ سوف نبكي كثيراً
حين نُدعى للوداع فنرحلْ

للعيون السود نسمةُ حزنٍ
للعيون السود دمعٌ مكحَّلْ

للعيون السود نجمٌ بعيدٌ
آخذٌ في القفز أعلى وأسفلْ

إنني أمتدُّ فوق شعوري
إنني أحتدُّ، ماذا سأفعلْ؟

رعشةُ الأحزان خاضتْ دمائي
فتأمَّلْ خبْطَ قلبي المغفَّلْ

إنه الإنسان يدخل فينا
دون نارٍ، واثقاً، دون مشعلْ

(1999)

23

لم يفهموني ليفهموا لغتي

لأنني شاعرٌ أيا أبتي

هذي القوافي أنا اشتغلتُ بها

بريشتي صغتُها، بأخيلتي

بوقفةٍ طالما حلمتُ بها،

ببسمةٍ أُعدمتْ على شفتي

ستُغرِقُ العالَمَ الذي لقيَتْ

بدمعةٍ من دموعِ عاطفتي

(1999)

24

ما سأُهديها بعيدِ الأمّهاتِ؟
ليس في جيبيَ إلا كلماتي

شاعراً أحيا بعيداً وغريباً
في أحاسيسي، فتبّاً لحياتي

(1999)

25

من لي لأنسى عنده همّي

من لي لكي أحيا بلا همِّ

من لي لألقى حضنه كلّما

فاضت دموع العين يا أمّي

(1999)

26

لجبينها لا بدَّ من قُبلهْ
ولشَعرها المنبوش كالطفلهْ

ولخدِّها الملقى على عَجَلٍ،
ولراحةٍ بالدمع مبتلَّهْ

ولركبةٍ بيضاءَ ذائبةٍ،
ولصدرها المستعجل الطلَّهْ

ولسرَّةٍ أفشتْ بقاطفها،
ولمعصمٍ أعنابه سهلَهْ

ولجيدها الغالي، وساعدها،
ولدمعةٍ من سروةٍ أعلى

(1999)

27

بيروت تنصبُ وجهها كالسِّرْكِ
وأنا المهرِّج نجمُ هذا السِّرْكِ

ألقيتُ وجهي جانباً وشكرتُهم
وحكيتُ كالولد المهذَّب عنكِ

(1999)

28

تبكينَ في وقت السفرْ
وأنا على وشك السفرْ

تبكينَ ما ذنبي أنا
حتّى أسافر في المطرْ؟

(1999)

29

سجنُها قد كانَ – والأشواقُ حَرَّى –
غرفةً سُدَّت بقضبانِ الأسرّهْ

(1999)

30

وطني مريضُ القلبِ يا هند الحزينهْ
والأرض تحتجز المشاعرَ كالرهينهْ

(1999)

31

هيهات يا شقيقةَ الألمْ
هيهات يا عشيقةَ الألمْ

هيهات يا كبيرةَ الدمى،
هيهات يا صغيرةَ القدمْ

(1999)

32

ماذا تركتِ في حياتي معكِ؟
فلترجعي كي تأخذيهم معكِ

(1999)

33

موتٌ يُطالع في الكتابْ
موتٌ يُقلِّب في الكتابْ

موت يهزُّ الشمعَ كي
يتساقط الضوء المصابْ

يتأبَّط الجدرانَ كالكتبِ
القديمةِ والرقابْ

الظنُّ أنْ سئمَ العجائزَ
صار يختار الشبابْ

(1999)

34

ألقيتِ لي قلبي على الأعتابِ
وأضعتِ حلماً كان خلف البابِ

وعيونكِ السوداء تستقوي على
مثْلي من الشعراء والكتّابِ

(1999)

35

لحجارةِ البازلتِ وجهُ البنتِ
لحجارةِ البازلتِ صدرُ البنتِ

أختي تمشِّط شعرها وتعدُّ لي
حجراً حنوناً صالحاً للموتِ

لكنما المنديل أسوأ عادة،
فالدمع سمٌّ قاتلٌ يا أختي

وحجارة البازلت زرقة أرضنا،
وأنا لأجلك شاعرُ البازلتِ

(1999)

36

ذكراه قد وصلت لعنْقي
ودماؤه وصلت لعنْقي

ماذا سأُلقي قبل أنْ
يصلا فأغرق... ما سأُلقي؟

(1999)

37

قد أخفقتْ كلُّ الحكايا

أعفيكِ من سردِ الحكايا

فالموت يأخذنا بتابوتٍ

كما عُلَب الهدايا

(1999)

38

بعدَها، نمتُ الليالي عند بابكْ
جاوبيني يا فتاةَ العمرِ ما بكْ؟

ماتَ من ماتَ فلا تستكثري
مسحَ دمعي ولعابي بثيابكْ

(1999)

39

أخفيتِ وجهكِ والتفتِّ إلينا

«اليوم نبكي»، قلتِها، فبكينا

لكنما عيناك لم تتبللا

مرَّغتِ قلبي في التراب فأينا

تلك التي لو مسَّها بعضُ الهوى

جاءت لتبكي كالصغار لدينا؟

(1999)

40

حدَّثتكم عن وجهها المتماسكْ
وأخذتكم في وجهها المتماسكْ

عن وجهها الغالي الذي حدَّثتكم
قد فاتني النمشُ الحزين الحالكْ

سأعود كي أحكيْ لكم ثانيةً،
لا لن تملّوا يا رفاقي ذلكْ

(1999)

41

وقفتْ ببابِ مدينتي، وإليها
هرعتْ بلادي كي ترى نهدَيها

هي قدُّها، هي وجهها، هي صوتها،
هي مسحة الأحزان في عينَيها

(1999)

42

الموت يفردُ وجهه كالطفلِ
وعيون من أحببتُ تُقفل قبلي

لا شيء يبقى غير صمت حبيبتي
ودعاء أمّي في الصباح لأجلي

(1999)

43

أأعيش حزني، أم أموت بحزني
يا أيها الوطنُ المخلَّص منّي؟

وطني كبير أحبّتي، لكنما
وطني يُؤاخي، في الهزيمة، فنّي

ماذا وماذا يا عيونَ حبيبتي
هل يأسيَ الحالي يُناسب سنّي؟

أحتاج أن أبكيْ على صدرِ التي
قد جرَّرتني خلفها كالإبنِ

(1999)

44

إنها تبكي، دعوها للنهايهْ

لا تضجّوا من تفاصيلِ الحكايهْ

وجهها الباكيَ عرّى وارتدى

شاعراً مثلي بما فيه الكفايهْ

(1999)

45

ولها العقودُ، وكم يليق لمثلها لبْسُ العقودْ

ولمثلها صَلَف الخيول، لمثلها كَسَلُ الأُسودْ

ولها العباءةُ عندما الأثداء مشرعةٌ تريدْ

ولها الأصابع، والثديُّ السمر، والوجه البعيدْ

ولمثلها وجعُ الكؤوس، وحرٌّ كثبان النهودْ

ولها الزبيب الأشقر المشبوه، والشامات سودْ

ولها الجدائل، والقوام، وصوت فرقعة الخدودْ

ولمثلها فسق الجمال الغرّ، والدَّلَعُ الجديدْ

ولها الإمارة، والجلالة، والتدافع في الحشودْ

ولمثلها طول المواكب، والهتاف مع الورودْ

ولها التكبُّر، والتشاوف، والغرور بلا حدودْ

ولها البحار تفيض كالأنهار حلْماً بالصعودْ

(1999)

46

هو الموتُ،

خطَّ بمرودِ أمِّي

كلاماً بذيئاً، ولكنْ جميلْ

هو الموتُ،

لا تفزعي لبرودة دمِّي،

دَمِي مرهق لا يسيلْ

***

هو الموتُ،
صرَّفَ دمّي بمجرورهِ الأزليِّ
وجسمي بحاويةٍ من ترابْ

تُسمَّى
ضريحاً
وقبراً
ورمْساً
وأسماءِ أخرى تلمُّ الذبابْ

***

هو الموتُ،
مستهترٌ بالجميعِ
يُفتِّش عن طفلةٍ ناجيهْ

فأرجوكِ
مدّي إليَّ أصابع رجليكِ كي أحضر الآنيهْ

فلسطين،
يا تحفةَ الموت قومي
ورشّي الأرزَّ على الهاويهْ

(1999)

إنها البدايات المنشورة التي لا مفرّ منها، البدايات التي لم تعد طبعاتها المحدودة موجودةً للتداول، والتي - كلما مرَّ الزمن عليها - شعرتُ بأنها باتت أشبه بخاتم زواج في يد ممثلة بورنو.

إنها بداياتي التي هي مجرّد تذكارٍ غريبٍ من شخصٍ غريبٍ كنتُه ذات يوم، ولا أُريد لقبره أن يكون بلا شاهدة تدلُّ إليه.

ماهر شرف الدين